

عبدالله السيد شرف



«أحرف من عطر ونور»

نجارب واعية ومنجدة في الشكل والمضمون

بقلم / محمد يوسف التاجي

في ديوان لم تتعدَّ صفحاته ثمانين صفحة من القطع الصغير، جمع محمود شرف أربعاً وعشرين قصيدة لم يضمها ديوان من قبل من دواوين والده الشاعر الراحل عبدالله السيد شرف، من مواليد قرية (صناديد) التابعة لمحافظة الغربية بمصر سنة ١٩٤٤/١١/٦م، والتي جعل من داره فيها ندوة أدبية مفتوحة، ودواوينه هي:

- العروس الشاردة: ١٩٨٠م.
- الحرف التائه: ١٩٨٢م.
- القافلة: ١٩٨٤م.
- الانتظار والحرف المجهد: ١٩٨٦م.
- قراءة في صحيفة يومية: ١٩٨٧م.
- تأملات في وجه ملائكي: ١٩٨٧م.
- مملكتان: ١٩٩٤م.

ثم هذا الديوان الأخير الذي بين أيدينا، والصادر بغير عنوان اكتفاءً بنسبته إليه (ديوان عبدالله السيد شرف)، وقد صدر في ١٩٩٥/٦/١٩م بالعدد ١١١ في سلسلة (أصوات أدبية) عن الهيئة العامة لقصور الثقافة، مع أن قصائده كما جاء في سطر بالمدخل (كتبت في الفترة من ١٩٧٨-١٩٨٩م) ويبدو أن صاحبها قد استبعد ما من قبل، فلم يدخلها في أي من دواوينه الصادرة على مدى هذه السنوات، ورأى ولده محمود - وهو شاعر أيضاً - أفرادها بديوان صدر بعد شهرين من رحيله في ١٩٩٥/٤/١٢.

الدائنية في قصيد شاعر [صناديد].

وقد نفحنا الشاعر الراحل عديداً من التجارب المتباينة في القصيد الشعري - سواء في الشكل أو في المضمون - بدأ ديوانه هذا بأولها التي تمثل ذلك النمط الجديد المركز الذي يمكن أن يُطلق عليه شكل (القُصيدة) أي القصيدة القصيرة جداً. ولعلنا نعرضها بكاملها من باب ضرب المثل فقط: يقول في قصيدة (عودة) ص ٩:

«كانك أنت التي من زمان
تمطيت فيها
وعانقت كل الرؤى
شادياً احتوبها
كانك أنت
الغرام القديم
وعشقي المدمى
لماذا تعودين
بعد ارتحال الفصول
عبيراً وحلماً»
وقد خُتم بها أيضاً الغلاف الخلفي

للديوان بخط هو في الغالب خط الشاعر نفسه، ولم يأت قريباً منها إلا في ثلاثة نصوص أخرى هي (خذني إليك ص ١٠)، و(معزوفة للمحاصر ص ١١)، و(أمنية ص ٣٠)، ولعله يحسن التعرض لواحدة أخرى منها على الأقل: ولتكن الأولى، يقول فيها:

«خذني من دمي

كل ما تشتهين

خذني من أعيني

أنجماً

خذني من أضلعي

سُلماً

سُلماً

خذني أحرفي

وردة

أو دماً

خذيني

خذني كل ما تشتهين

ولا تتركيني

أراجع وحدي

فلول المني

مرغماً»

وقد أثرنا البدء بهذين النصين لاشتراكهما في سمة واحدة - بعد سمة الشكل القصير المركز - هي الذاتية الواضحة، فعبداله شرف يبدو (طوبوايا) في المقام الأول، يتوق إلى استرجاع ما افتقده في هذا الزمان المادي الكثيب: العبير والحلم!! لكنه في النص الثاني يبدو - برغم جماله - أكثر استسلاماً للياس، بحيث يدعو ملهمته: لأن تعايشه فتأخذ منه ما تشاء: من العيون النجوم، ومن الضلوع ما يصلح ليكون سُلماً ترقى عليه، ومن أحرقه ما هو من الطبيعة كالوردة، أو ما هو من كيانه نفسه كالدم، على ألا تتركه وحده يواجه ما تبقى من أمانيه المهجرة وهو مُرغم مجبر!!

شرف، والعزف على مقام واحد،

فإذا انتقلنا لإضاءة مضامين ما

تيسر من باقي القصائد بالديوان، وجدناها تبدو كمعزوفات على مقام واحد، هو الاغتراب، واقتقاد سمات الزمن النبيل، والمعنيان لم تغلتهما أيضاً قصيدته السابقتان، وهي جميعاً وإن بدت عاكسة لجو واحد، فقد اختلفت كتجارب وتباين عطائها. فمنها ما جاء في شكل قصصي مستخدماً تقنيات الدراما، ومنها ما جاء في شكل حوار بينه وبين مخاطب، قد يكون إنساناً أو يكون معنى كالشعر مثلاً، ولنستمع إليه وهو يخاطب الشعر في قصيدته (للعصافير والشعر ص ٣٥، ٣٦)، فيقول له:

«كاذب أيها الشعر

ما عدت لسع السياط

وما عدت للعاشقين البساط

ولست بهذا الزمان الرباط

وما عدت...

قل لي إذن

- للعصافير أوجاعها -

سيدي الشعر قل لي:

لماذا الكذب؟!»

أو كالحب، كما جاء في قصيدته (مواجهة ص ١٤-١٦) التي تصور فرار الحب من عالم يمور بالأحقاد والأنانية المقيتة:

«لماذا... سال من يدنا

ملولاً

لم يعاتبنا

ولا استأنى

ولا ودّع؟!»

لماذا عاف لقيانا

وغادرنا

ولم يسمع؟!»

إلى آخر ما ساقه من صور، عاكساً كيف كان الحب موجوداً، لما كان الناس أكثر تلاحماً، وأكثر نقاءً وصدقاً، ولما كانت الأنانية ذائبة في حرارة الاجتماع ودفع التلاقي والتواصل، فلما غابت هذه المعاني.. توارى وما ودّع:

«لأننا..

لأننا قد تركناه

وعانقنا مريانا

وأشبعناه نُكراناً

وإهملاً

ونسياناً!!!

وسرنا تحت مسمعه

أكاذيباً

وتضليلاً

ملولاً

سال من يدنا

ولا استأنى.. ولا ودّع»

أما بالنسبة لقصائده التي وظف فيها الدراما، وهي أكثر من واحدة، فلعلنا نلتقط واحدة فقط من أحسنها هي (بساطة ص ٥٥)، وفيها يقول مديراً أداة تصويره الشعرية:

«وكان إن يمر من خصاص

جره الشعاع

يهب ضاحكاً مستبشراً

يشيلُ فأسه

وليس غير زنده بضاعة

وثوبه الوحيد خرقة مشعثة

يجوع مرة

ومرة يلوك في نهم

الملح.. والخشاش

ودائماً

يسائل الإله أن يُديم نعمته

وعاشقاً للطير - كان -

والحياة

يُضاحك الرجال

والنساء.. والصغار

والشجر

ويبعث الغناء للقمر

وقيل عنه:

بائس فقير

وقيل:

بل أمير

كل الحياة ملكه

برغم أنه بلا ولد

ولا عقار

أو حقول تمتطيه

أو سند

● انفتحت تجاربه على الحركة الشعرية خارج الوطن.. فأعطته بعداً إنسانياً

بل كان إبطه - كما يقال -
والنجوم
وذات يوم
آثر الرحيل دونما وداع
وقيل كان وقتها ينام
مهدد التراب
والوسادة الذراع
وحين شيعوه
شيعوا
بساطة الحياة!!»

ولعلك تدهش معي لجمال هذه القصيدة / القصة الرائعة، في حسنها الإنساني النبيل، وتدقق لغتها الشعرية المرهفة والمصورة، وتوظيفها الناجح لأدوات الدراما، ولواقعيته النابضة بالحياة، والتي نكاد نلمسها في مجتمعا كل يوم.

فهذا الإنسان البسيط الكادح سعيد برغم صعوبة حياته وشدتها عليه، محب لها بمظاهرها جميعاً طبيعة وناساً... وكل ذلك لقوة إيمانه الذي يجعله دائم الشكر لربه على نعمائه، وإحساسه بالجمال في استقباله لكل معطياته - سبحانه - فيها وإن قل نصيبه منها.

فإذا فوجئوا يوماً بوفاته، شعروا بالحرز لفقد؛ لأنه بات يمثل نموذجاً نادراً للإنسان المفتقد في عصر حكمته المادة، وتخلي إنسانه أو كاد عن إلهه... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولا أخفيك أنني قد شعرت عند لقطات وصفه لنموذجه البسيط، أنه إنما يصف نفسه، ولم يردني عن ذلك إلا حين ذكر عنه أنه كان (بلا ولد)، ولعله تنبه هنا إلى ضرورة أن يدخل من تقنيات الفن ما يفصل به بين ذاته وموضوعه. ولعله كان يطامن بين قلقه على أولاده لإحساسه بأنه سيفارقهم في وقت قريب - كما جاء في حوار مع أحمد التهامي قاسم في العدد

الخاص عنه من مجلة الثقافة الجديدة عدد مايو ١٩٩٥م - ويقبس من بساطته تسليمًا وسكينة هما في الواقع صفتا المؤمن المتوكل حين يلجأ لرفع همومه إلى ربه، وهو موقن بأنه لن يضيعه.

ومثل هذه القصيدة الشعرية الموفقة، ما جاء مصوراً لهذا الواقع القريب الذي ولى ظهره للصادقين من الناس والبسطاء، وأقبل بوجهه على لصوصهم وسماسرتهم ومخادعيهم. ولنقرأ معاً في لوحته التالية من قصيدته (اغتراب ص ٥٨-٥٩).

«ويمرق جنبني جاري القديم

بسيارة... طولها ألف عام

وكان بليداً يعاف الكتاب!!

ويعشيه ضوء الحروف

وعلم الحساب

ضحكاً يفر

يجالس أنثى.. كأن القمر

على الوجه نام

تلاذاً في الصدر عقد ثمين

وزوجاً حمام

وكلب ينام

على الخاصرة

وقيل بأن الفتى

مارس السمسة

وبيع الكلام

وتاجر في الماء

والمال

والراقصات

وأضحى أمام الجميع

إمام الهداة»

حتى إذا ما بلغ بنا هذا الحد من التصور المؤثر لنموذج الإنسان في

عصر صار كريبها بأفعاله الشائعة، وجدناه يستعين بحكمة القرون التي لا تختلف ولا شك - برغم الزمان - في تقييم الإنسان في حالتي تمرده وإيمانه... ووجدناه يقول:

«وحدث يوماً صديقي

(الفرزدق)

لماذا تدور الرحي بالغلام؟!

تنحنج

ألقي علي السلام

أفق يا غلام

فمن في يديه اختلال الدروب

وثقب الجيوب

تكن في يديه بهذا الزمان

عصا الصولجان!!!»

ولعله لم يفطنا الإشارة إلى أن شاعرنا الراحل وفق في توظيف التراث العربي الفصيح و«الفلوكلور» الشعبي، إلى جانب توفيقه في توظيف التقنيات الدرامية. ولنشر إلى ذلك في بعض المواضع مما تقدم ذكره في القصائد السابقة، فهو حين يصف بساطة الإنسان المؤمن، كما جاء في قصيدة (بساطة)، نراه يقول (كل الحياة ملكه) فلا يفوتنا توظيفه لمعنى ما جاء في الحديث الشريف (إذا بت معاقى في جسدك، آمناً في سربك، عندك قوت يومك، فقد حيزت لك الدنيا بحذايرها)، وفي رواية (فعلى الدنيا العفاء). وحين راح يسرد بعض صفاته رأيناه يستعير من «الفلوكلور» الشعبي معنى عبارة (باطة والنجوم) تعبيراً عن مدى إفلاسه وخوانه المادي، بما أوحى من خلال أسلوب المقابلة بأن الغنى الحقيقي هو غنى

النفس. وحين صورده في موته صورده بسيطاً كما كان في حياته، حتى بدا تشييع المشيعين له تشييعاً، لما افتقد بفقد مثله من بساطة الحياة التي غدت تنقل على بنيتها بتعقيدها وغموضها المحير!!

فإذا انتقلنا إلى النص التالي راعنا منه تصوير نموذج الانتهازي المحتكر المتاجر في كل ما يحرم: ماء ومال وراقصات، وهو في الغالب يوصف بأنه - كما هو معروف - (بتاع كلام). ذلك النموذج الذي صار شائعاً وصار الناس يتلقونه، بحيث يعدونه إمام الهداة، كدأب العوام الدهماء في تملق الأغنياء.

ووجدناه يستعين بصديقه (الفرزدق) الذي لم يفلت من هجائه حتى الزمان، فإذا به يقرده على إنكاره لواقعه المرفوض، ويقرر أن ما يراه إنما هو من سنن الكون في عصور الانهيار والضعف، فليس العادل هو من تدب له الدنيا، بل اللص المخادع والكاذب المخاذل، بما يعني توكيل الأمر إلى غير أهله، على ما جاء في الحديث الشريف (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة). وبما يشير أيضاً إلى أنه واحدة من علامات الساعة.

وليس عجيباً أن نجد شاعرنا الراحل مضيفاً بمثل ما تقدم من شعره المصور بصدق وشفافية عن الواقع المعاصر في أبرز مظاهره كالاغتراب والتفسيخ الاجتماعي اللذين ظهرا واضحين بمجرد افتقاد القيم الإنسانية النبيلة وضياعها من واقع المجتمع، والاستبدال بها قيماً أخرى مادية، تقيس الإنسان بمقياس ما يملك، ومقياس رصيده في البنوك، لا بمقياس ثرائه ونقاؤه الخلقي. الأمر الذي بدأت برصده القصيدة الحديثة منذ الخمسينيات وقبلها بقليل، ثم ظل الشعراء يضيفون إليها مجسدين ما جد فيها على الإنسان - وهو محك كل

تجربة فنية - حتى بدا شاعرنا - كما سبقت الإشارة - مضيفاً إلى رصيدها إضافات تحسب له؛ لأنها جمعت إلى جانب إشباعها المتابع لواقعية العصر عبر فترة زمنية قاربت نصف القرن، خاصية الإمتاع التي تعد من خصائص الفن القولي عموماً، شعراً كان أو غيره.

فإذا عرّجنا على جانب آخر من توظيفه للتقنيات المختلفة التي قدمنا بعضها قبل قليل، ألفينا أنه يعد واحداً من أفضل الشعراء الذين انفتحوا على الشعر خارج موطنه العربي، فاستلهموا من حداثة ما نوهوا فيه بالمعاني الراقية والقيم النبيلة - وعلى رأسها الحب - فهذا هو ذا يستلهم نصاً للشاعر الإسلامي (رسول حمزاتوف) - ليت نصه كان بين أيدينا لنرى مدى إفادة شرف منه ومدى إضافته إليه - ولا نحسب شرفاً إلا عازفاً على واحدة من (تيمات) ونغمات حمزاتوف في العشق. كما يبدو لنا من أبياته التالية من قصيدته (مبتدأ.. وختام ص ٣١-٣٢):

إن كان بهذا العالم

ألف يهواك

أنا.. مبتدأ الألف

قلبي

عصفور

مسكون بالعشق

راك.. فرف

واستروح إنسان هواك

فشف

أو كانوا مئة

فأنا في بدء الصف

إلى أن يقول في ختامها:

يا فاتنة

تحتاج كياني

وتنام قلبي

حلماً وردياً

وخمائل قيد

إن لم يبق بهذا العالم

من يهواك

فهذا يعني

أني مت!!»

ولئن بدا في أبياته السابقة عاشقاً خالصاً على طريقة العشق الحار في قارة آسيا التي تتميز شعوبها بتدفق الحس ورهافة العاطفة، ولا يعلم مدى قوة عاطفتهم وتدفقها حتى يترجم عنها شاعر منهم كالخيام والشيرازي وغيرهما منبثقين عن بيئة قريبة من بيئة (رسول حمزاتوف) - وذلك هو أقرب آثار الاستلهم الشعري من لغة أخرى وبيئة مغايرة - أفنعب حين نرى شاعرنا قائداً على رأس (قافلة) للحب، ييثنا شروط الانضمام إلى قافلته في مثل السطور الرقيقة المتدفقة التالية:

«اخلع أحقادك واتبعني

تشهد قافلتني.. قافلة النور

تسير بلا ترتيب

تتهادى في حب لا يعرفه

الوصف

.....

تحمل أشواقاً صادقة

وسلاماً من نور

وزاداً لم ينضجه الجوع أو

الخوف

وباقات أمان

ومياها صافية... وحروفاً وارقة

الظل

عطوراً من قلب الأيام

وسيفاً يقطع الظلمة

يبتر من كل الأفتدة الحقد...!!»

ولعله كان يحس بروحه الشفافة أنه دنا من آخر الرحلة، وكدابه في رصد كل شيء ذاتي أو جماعي، في حياته خاصة أو واقعه بعامة، طلع علينا بالأسباب التالية في واحدة من أواخر قصائده فيما أزعج مما بدا لي من أول سطورها، وتاريخ وفاته في أبريل ١٩٩٥م بعد الخمسين بعدة شهور:

«الخمسون على الأبواب
تمد عراقيب الأوجاع
وتغتال شموعي

● لجأ الشعراء إليه في الملمات.. وكان ملاذه: القصيدة!

ومنها:

يا مولاي

تعددت الأسباب

وأنت الوهاب

أنت الحنان.. المنان

تجلى وجهك في الأنوار

وأبصرت ذنوبي

وتكشف وجهك في الظلمات

فعابنت دروبي»

إلى آخر هذه الأبيات / التسابيح

والمناجيات، التي كان لا ينتظر سواها

من شاعر لا يخفي إيمانه، ولنقرأ قول

أحد أصدقائه القريبين من كتاب

القصة حول هذه النقطة (١)

«وفي رمضان كان يشكو من

بعض الشعراء الشباب الذين

يزورونه في نهار رمضان، وهم

يدخنون ولا يستحون من طلب

الشاي أو القهوة في بيت بنيت

دعائمه على الإيمان، وصاحبه

يصوم مخالفاً كل تعاليم الأطباء...

وأراه يصلي بعينيه وشفتيه، وكم

كانت تجرحه قصائد بعض الشعراء

التي تتناول على المقدسات. وكان

ذلك جرحه الذي لا يندمل رغم

محاولات تطبيب خاطره».

وفي موضع آخر من رسائل

شرف إلى أصدقائه من الأدباء كتب

إلى جمعة كاشفاً عن هذا الجانب من

روحه المؤمنة - بغير قصد - عن

الإعلان عن نفسه طبعاً (٢).

«وهكذا.. يتسلل رمضان من بين

أصابعي، وكم أنا حزين لضياح

ثوابه من يدي.. ويعلم الله أنني

مكره على هذا».

■ أما بعد:

فها هي ذي لحظة الرحيل المرتقبة

تأتي، وهذا ما أفصحت عنه عبارة

صديقه الروائي السكندري محمد

الملمات شأن الفارس النبيل، حتى

ليقول قائلهم (٥):

«معذرة يا أخي إن كنت قد

سمحت لنفسك بإراحة رأسي على

صدرك، وأنا أعلم أن ما بك يكفي

وزيادة، تمنيت لو أنني أغمض عيني

على كل هذا الحب.. ثم أرحل»!

لكن الطائر المرثي وقد فك قيده،

يتخذ سبيله إلى مستقره الأخير، لا

أجد صورة تمثله إلا ما رسمه هو

بنفسه لنفسه كما قال:

«سار وحيداً

على سلم الضوء

في الأفق يكبر

- إذا كان يصغر -

في غفره تمتمات

وعطر

ونور

وفي الأفق نور

وعطر!!»

جبريل، «ولعل أصعب ما في حياة

عبدالله شرف أنه كان يتوقع

النهاية، وانتظر قدره، دون أن يسلم

نفسه لعوامل اليأس والإحباط..»

ولقد اجتمعت المراثي في رصد

رحيل هذا الشاعر الظاهرة، فهذا هو

صديقه الشاعر محمد فهمي سند

يقول (٣):

هل سئمت الفناء

فودعتنا وانسربت إلى الصمت

تغزل فيه الصفاء؟!

هل ذهبت تفتش عن حلمك

الوطني

الذي ظل يرتع في نبضات

الدماء؟!

أنت غافلتنا وانسحبت

لماذا تعاقبنا بانسحابك؟!!

يا نسمة الصبر في زمن اليأس

والأدعياء؟!

أكنت تودعنا يوم جئت

لتختار فرسان مجلسنا الأدبي؟!

وداعاً صديقي إلى أن يحين

اللقاء»

المواهب،

(١) القصص جمعة محمد جمعة في مقاله

«عبدالله شرف أيامي معه» مجلة الثقافة

الجديدة، مايو ١٩٩٥م، ص ٤٣.

(٢) من مقالة (عبدالله شرف - صورة من

قريب)، المصدر السابق نفسه، ص ٢٧

و ٢٨.

(٣) قصيدة (عش الابل) لمحمد فهمي سند،

ص ٥٧، مجلة الثقافة الجديدة، العدد

المذكور.

(٤) قصيدة (وداعاً عبدالله شرف) - د حسن

فتح الباب، ص ٦٧، مجلة الثقافة الجديدة،

العدد المذكور

(٥) محمد جبريل، في آخر سطر من مقاله

عنه.

التواضع للملم (*)

لإسماعيل بن الحسين بن جعفر الصادق (١)

حدثني عزيز الدين - رحمه الله - قال: ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلاله القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يُراجع في كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه لإعظامه، على ما هو مشهورٌ مُتعارفٌ، فدخلتُ إليه، وترددتُ للقراءة عليه، فقال لي يوماً: أحبُّ أن تصنّف لي كتاباً لطيفاً في أنساب الطالبين لأنظر فيه، فلا أحبُّ أن أكون جاهلاً به. فقلتُ له: أتريده مُشجراً أم مشوراً؟ فقال: المشجّر لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئاً أحفظه، فقلت: السمع والطاعة، ومضيتُ وصنّفتُ له الكتاب، الذي سمّيته بالفخري، وحملته وجئته به، فلما وقف عليه، نزل عن طرّاحته (٢)، وجلس على الحصير، وقال لي: اجلس على هذه الطّراحة، فأعظمتُ (٣) ذلك وخدمته (٤)، فانتهرني (٥) نهرةً مزعجةً، وزعق عليّ وقال: اجلس بحيث أقول لك، فتداخلتُ - علم الله - من هيبتِه ما لم أتمالك، إلا أن جلستُ حيث أمرني، ثم أخذ يقرأ عليّ ذلك الكتاب، وهو جالسٌ بين يدي، ويستفهمني عما يستغلق (٦) عليه، إلى أن أنهاه قراءةً، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علمٌ أنت أستاذ فيه، وأنا أستاذُ منك، وأتسلمُ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدي الأستاذ، فقمْتُ من مُقامي، وجلس هو في منصبه، ثم أخذتُ أقرأ عليه، وأنا جالسٌ بحيث كان أولاً، وهذا لعمرى من حُسن الأدب حُسنٌ، ولا سيّما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة .

مر
نرات
النشر

الهوامش:

- (*) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٤٨/٦.
(١) هو إسماعيل بن الحسين بن جعفر الصادق، ولد سنة ٥٧٢هـ، وعاش في مرو فلُقب بالمروزي، ودخل بغداد سنة ٥٩٢هـ، وله تصانيف عديدة.
(٢) نوع من الفراش.
(٣) رأيته عظيماً.
(٤) خدمته: يريد أظهرت احترامي له.
(٥) انتهرني: استقبلني بكلام يزعجني به.
(٦) أي يتعسر فهمه.



فقه المعلم

لأحمد شوقي

كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا،
يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا...
تَجِدُوهُمْ كَهَفِ الْحُقُوقِ كُهُولًا
وَهُوَ الَّذِي يَبْنِي النُّفُوسَ عُدُولًا (١)
وِيرِيهِ رَأْيًا فِي الْأُمُورِ أَصِيلًا (٢)
رُوحَ الْعَدَالَةِ فِي الشَّبَابِ ضَيْلًا
جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ الْبَصَائِرُ حَوْلًا
وَمِنَ الْغُرُورِ، فَسَمَّهَ التَّضَلِيلًا
فَأَقَمَ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلًا
مِنْ بَيْنِ أَعْبَاءِ الرِّجَالِ، ثَقِيلًا
فِي مَصْرَعُونَ الْأَمْهَاتِ جَلِيلًا
رَضَعَ الرِّجَالُ جَهْلًا وَخَمُولًا
هُمْ الْحَيَاةَ، وَخَلَفَاهُ ذَلِيلًا،
وَبَحُسْنِ تَرْبِيَةِ الزَّمَانِ، بَدِيلًا
أَمَّا تَخَلَّتْ، أَوْ أَبَا مَشْغُولًا

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ، وَفِيهِ التَّبَجِيلُ،
أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَ مَنْ الَّذِي
رَبَّوْا عَلَى الْإِنْصَافِ فَتِيَانِ الْحَمَى
فَهُوَ الَّذِي يَبْنِي الطَّبَاعَ قَوِيْمَةً،
وَيَقِيْمُ مَنْطِقَ كُلِّ أَعْوَجَ مَنْطِقِ،
وَإِذَا الْمُعَلِّمُ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا، مَشَى
وَإِذَا الْمُعَلِّمُ سَاءَ لَحْظَ بَصِيرَةٍ
وَإِذَا أَتَى الْإِرْشَادُ مِنْ سَبَبِ الْهَوَى،
وَإِذَا أَصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ،
إِنِّي لِأَعْذِرْكُمْ، وَأُحْسِبُ عِبَّاءَكُمْ
وَجَدَ الْمُسَاعَدَ غَيْرَكُمْ، وَحَرَمْتُمْ
وَإِذَا النِّسَاءُ نَشَّانَ فِي أُمِّيَّةٍ،
لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنْ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ
فَأَصَابَ بِالدُّنْيَا الْحَكِيمَةَ مِنْهُمَا،
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلَقَّى لَهُ

الهوامش:

(١) العدول جمع عادل: المنصف.

(٢) أصيلاً: صائباً.



من ثمرات الشعر